

جميل حمداوي

البنائات المسرحية في المغرب



المؤلف: جميل حمداوي
العنوان: البنايات المسرحية في المغرب
الطبعة الأولى: 2015م
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

الإهداء

إلى أمي وأبي

إلى أهلي وعشيرتي
إلى أساتذتي
إلى زملائي وزميلاتي
إلى الشموع التي تحترق لتضيء الآخرين
إلى كل من علمني حرفاً
أهدي هذا البحث الأكاديمي راجياً من المولى
عز وجل أن يجد القبول والنجاح

الفهرس

الإهداء

4.....	الفهرس
5.....	المقدمة
7.....	الفصل الأول: البنيات المسرحية في عهد إسبانيا
26.....	الفصل الثاني: البنيات المسرحية بين الحماية والاستقلال
37.....	الخاتمة
39.....	ثبت المصادر والمراجع

المقدمة

إذا كانت إسبانيا معروفة لدى جميع المغاربة أنها لم تخدم المغرب منذ استعمارها للمنطقة الشمالية سنة 1912م حتى انسحابها منه سنة 1956م،

مقارنة بفرنسا التي خدمت هذا البلد على مستوى البنية التحتية تخطيطا وتجهيزا وتدييرا وتعميرا وتوسيعا. فإن هذا الحكم ، في الواقع التاريخي، ليس صحيحا دائما؛ فلا إسبانيا الأيادي البيضاء على المغرب في بعض المجالات الثقافية ، وخاصة في مجالي المسرح والتشكيل . دون أن ننسى الميادين العلمية الأخرى، مثل: اللسانيات، والأدب، والتاريخ، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والتوثيق الببليوغرافي، والأرشفة المكتبية، وبناء المدارس والمعاهد التربوية لنشر اللغة الإسبانية والثقافة الإيبيرية. ومن هنا، فقد خدمت إسبانيا المغرب خدمات جلى في مجال المسرح بناء وإبداعا وتنشيطا. وفي هذا السياق، يقول عبد السلام مصطفى المهماه: "من الملاحظ على الرغم مما عرفه المسرح الفرنسي من ازدهار في الفترة التي استعمر فيها المغرب، فإنه لم ينهج مثل الإسبان سياسة بناء المسارح، حيث لم يتعد بناؤه للمسرح البلدي بالبيضاء، ومسرح مدينة الجديدة، على الرغم من الرقعة الجغرافية الشاسعة التي كان يحتلها، كما أننا لانعلم شيئا عن حركة المسرح الفرنسي بالمغرب، باستثناء الحادثة التاريخية التي رواها كل من عبد القادر السميحي ومحمد بن تاويت عن الفتاة الفرنسية وفرقتها، مع المرحوم الزعيم علال الفاسي، وكذا الإشارة التي أوردها عبد الله الشتوكي في بحثه فيقول: "... فالمسرحيات التي كانت تعرض به [مسرح الحماية] كانت من الضعف، حتى إنها لاتقوى على الظهور بباريس والأقاليم الفرنسية، إلا أنها على الرغم من بساطة شأنها كانت ترضي الأجنبي الموجود بالمغرب، إذ توهمه بأنه يتسلى مثل برجوازي وطنه الأم"¹

إذاً، ما أهم الخدمات الثقافية التي قدمتها إسبانيا إلى المغرب في مجال المسرح إبان فترة الحماية؟ وما البناءات المسرحية التي خلفتها إسبانيا في المغرب؟ وما أهم البناءات المسرحية التي شهدها المغرب وسيشهدها في عهد الاستقلال؟ هذا ما سوف نرصده جليا في هذا الكتاب الذي بين أيديكم.

¹ - مصطفى عبد السلام المهماه: تاريخ مسرح الطفل في المغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1986م، ص: 72-73.

الفصل الأول:

البنائات المسرحية في المنطقة الكولونيلية الإسبانية

المبحث الأول: تاريخ المنشآت المسرحية في شمال المغرب

من المعلوم أن المغاربة قد عرفوا المسرح الإسباني منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، بعد هزيمة المغرب في مدينة تطوان سنة 1859م، واحتلالها من قبل الإسبان سنة 1960م. ومن ثم، فقد شيدت إسبانيا

مجموعة من المسارح بتطوان، وطنجة، وأصيلة، والقصر الكبير، والعرائش... مقارنة بفرنسا التي لم تشيد، في منطقتها، سوى ثلاثة مسارح هي: الملهى الفرنساوي بمدينة فاس سنة 1917م، " ولكن الظاهر أن هذا المسرح لم يعمر طويلا. كما لم يكن له أثر يذكر على المسرح المغربي"²، والمسرح البلدي بمدينة الدار البيضاء الذي أسسه المارشال ليوطي سنة 1922م، ومسرح الجديدة الذي شيد سنة 1937م. وللإشارة فإن الملهى الفرنساوي كان يرتاده الأوروبيون والمسلمون على حد سواء، بغية رصد العروض المسرحية. وفي هذا، يقول أحد مراسلي جريدة (السعادة) المغربية: " شاهدنا الملهى الفرنساوي منذ افتتاحه تتقاطر عليه وفود السكان من المسلمين والأوروبيين، والكل يتباهى بين جدرانه، فكأنه سوق أدب، وكأنه معرض سرور، يتأثر المشاهد بأدوار التمثيل، وتتحرك إحساساته تبعا لحركات الممثلين، فمرة يشاهد الإنسان أمام الأدوار التمثيلية بحالة كئيبة يرثي لتعاسة الأشقياء، وأونة يترنح جدلا مع الفرحين، كل هذا والأنفس مرتاحة لما تتخلل تلك الأدوار التشخيصية من تشنيف الأسماع بنغمات الألحان الموسيقية المطربة، يشاهد الإنسان أمام مسرح التمثيل كأنه يعيش بين أهالي الأزمان الغابرة والأقطار البعيدة، ورغما عن ذلك، فهو يمكنه أن يستفيد بمعرفة أخلاق الأمم، وتنوير أفكاره باللطائف الأدبية والتاريخية وغيرها مما لا تنكر مواعظه"³ ويعني هذا أن إسبانيا كانت سباقة إلى ترويج المنتج المسرحي في المغرب، وخاصة في المنطقة الشمالية، منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. وفي هذا الصدد، يقول مصطفى عبد السلام المهماه في كتابه (تاريخ مسرح الطفل في المغرب): " خلال بحثنا وجدنا أنه لا يمكن القول بأن تاريخ العشرينيات بداية لمسرح الطفل المغربي بصفة خاصة، ولا بالنسبة للمسرح عامة، فقد ثبت بالوثائق أنه توجد مرحلة هامة مرت بأرض المغرب وشهدها، وسمع عنها المجتمع المغربي، إن لم يكن كله فجزؤه، نظرا لقلّة وسائل التواصل وقتئذ، وإن كانت هذه المرحلة عرفت

²- رشيد بناني: المسرح المغربي قبل الاستقلال، دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2008م، الهامش، ص:115.

³- المراسل: (الملهى الفرنساوي بفاس)، جريدة السعادة، المغرب، العدد، 1512، بتاريخ 18 يونيو 1917م.

جمهورها الخاص من الجالية الإسبانية، مع ذلك سجل حضور بعض المغاربة.⁴

ويعني هذا أن بعض المواطنين المحليين في المنطقة الخليفية، ولاسيما في تطوان، كانوا يحضرون احتفالات الإسبان، خاصة المسرحية منها، وهذا ما يؤكد الكاتب الإسباني (إدواردو مالدونادو): "...حتى المغاربة كانوا أحيانا يحضرون الحفلات الاستعراضية والمسرحية غير مذهولين من أي شيء، والقليلون هم الذين يعرفون الإسبانية، والموسيقى لا تقدر أن تنقل لهم الإحساسات التي تعودوا على تنغمها، علاوة على ثمن التذكرة الذي كان عائقا لهم للذهاب لرؤية ذلك الاحتفال الذي يلهي المسيحيين".⁵

وقد شهد هذا المسرح زيارة فرق مسرحية وشعرية واستعراضية منها: الفرقة الشعرية والدرامية لغارسيا دلگادو، والفرقة الرياضية البهلوانية للسيد ميزاندا، والفرقة الشعرية الثالثة للسيد بروتون، والفرقة الاستعراضية للسيد فرانسيسكو غارسيا غاستلدي التي قدمت عملها الفني في 13 فبراير 1861م.

أما عن مسرح الطفل، فقد عرض بهذا المسرح، سنة 1860م، مسرحية طفلية بعنوان (**الطفل المغربي / El Niño Moreto**) لفرقة (بوروتون) الإسبانية، وقد ركز العرض المسرحي على تصوير سذاجة الطفل المغربي وبدأوته وتخلفه، في ضوء رؤية عنصرية استعلانية واستعمارية.

وكانت هذه المسرحية هي الأولى والأخيرة لفترة طويلة من تاريخ المسرح الطفلي بالمغرب حتى المرحلة الثانية من نهضة المسرح المغربي وهي فترة 1913 م، حين نشوء مسرح سرقانطس بطنجة، وتقديم مسرحية بعنوان (أبناؤنا) سنة 1923م.⁶

وقد شيدت إسبانيا، في المنطقة الخليفية، مجموعة من المسارح الفنية منذ مطلع القرن العشرين الميلادي، في المدن التالية: تطوان، وطنجة، وأصيلة، والعرائش، والقصر الكبير، ومنطقة الريف.

⁴ - مصطفى عبد السلام المهماه: تاريخ مسرح الطفل في المغرب، ص: 65-66.

⁵ - إدواردو مالدونادو: (مسرح تطوان)، مجلة أفريقيًا، تطوان، المغرب، سنة 1953م، صص: 103-109.

⁶ - مصطفى عبد السلام المهماه: نفسه، ص: 70.

ولا يعني هذا أن المغاربة لم يعرفوا البنايات المسرحية قبل فترة الحماية الأجنبية (1912-1956م)، بل عرف المسرح منذ الحاكم الأمازيغي يوبا الثاني الذي أنشأ عدة مسارح بالجزائر (شرشال) ، والمغرب (وليلي، وليكسوس...)، وألف كتباً في المسرح والرقص والموسيقى، وأنشأ معاهد للتمثيل الدرامي ، وتعليم فن المسرح. وفي هذا، يقول المؤرخ التونسي عثمان الكعاك: " منذ عشرين قرناً بنى يوبا الثاني بمدينة شرشال مسرحاً كبيراً لا تزال آثاره إلى الآن، وجلبت إليه من المشرق الممثلين والممثلات والمخرجين والمزيين ، وألحق به معهد لتعليم الفن التمثيلي، ومن حسن الحظ أن شرشال جاءت في منتصف الطريق بين تونس والمغرب، بحيث أشعت إشعاعاً متساوياً على القطرين الشقيقتين، ولما جاء العبيديون وجدوا شمال أفريقيا في قبضة عبد الله المهدي، جلبوا التمثيل الديني المنتشر عند الشيعة بالفرس، والمعروفة بالتعزية، وإن نماذج من هذا التمثيل توجد لدى الجميع، ونستنتج من هذا في وضوح أن التمثيل بشمال أفريقيا لم يكن وليد القرن الماضي أو أوائل هذا القرن.⁷

ويتضح لنا ، مما سبق قوله، أن المسرح ، في المغرب، ظاهرة أمازيغية قديمة ، ولم يكن وليد هذا القرن مع مسارح إسبانيا ، أو مسارح فرنسا.

المبحث الثاني: المسرح في مدينة تطوان

شهدت مدينة تطوان ، إبان الاحتلال الإسباني للمنطقة الشمالية، عدة مسارح استقطبت الجالية الإسبانية، ولاسيما العسكرية منها، وكان تحضر إلى جانبها فئة قليلة من المغاربة الذين كانوا يستمتعون بالعروض

⁷- السائح التونسي: (العلاقات المسرحية بين المغرب وتونس)، حوار مع المؤرخ عثمان الكعاك، جريدة العلم، المغرب، العدد: 97، بتاريخ 2 يناير 1947م.

المسرحية والفنية والموسيقية والاستعراضية. ومن أهم هذه المنشآت المسرحية ما يلي:

المطلب الأول: مسرح إزابيل الثانية (1860م)

منذ أواخر منتصف القرن التاسع عشر، شيدت إسبانيا، بمدينة تطوان، مجموعة من المسارح من أهمها: مسرح الملكة إزابيل الثانية الذي بني في أوائل شهر يوليو سنة 1860م. وقد كان هذا المسرح تحفة فنية وجمالية ومعمارية. وقد بني هذا المسرح بمادة الخشب من قبل المهندس المعماري الكبير لوبي كامارا (Lopez Camara)، برئاسة العقيد بيدرو دي إغرييا (Pedro de Egria) ولي مونارا (Le Monara). وقد كان الهدف من تشييد هذا المسرح هو تسليية الجيش الإسباني والترفيه عنه دراميا وفكاهيا وغنائيا. بيد أن هذا المسرح لم يعمر طويلا، فقد أغلقت أبوابه، بعد سنتين من الاحتلال، في 05 ماي عام 1862م.

وللإشارة فقد " استغرق البناء مدة شهر كان موقعه في بداية يسار شارع التجارة حاليا، حيث توجد إدارة الإقامة العامة، يعني أن ظهر المسرح يحاذي ساحة إسبانيا، وجناحه الأيسر يطل على شارع التجارة، وواجهته اليمنى مع ساحة نسبية واسعة تسمى ساحة المسرح التي توجد بها حدائق الإقامة العامة وضاحية سوق الخبز، وزنقة كانطيريا، تسمى اليوم زنقة فاس، وكان يحتوي على 16 شرفة و 337 أريكة، و 46 رواقا من الدرجة الأولى، و 190 من الدرجة الثانية، و 495 مقعدا للعموم، وأربعة أشخاص لكل شرفة، ويمكن أن يحتوي على 4282 متفرجا، وفي بحث آخر عن هذا المسرح 1300 متفرجا، وكانت له ثلاثة أبواب، وافتتح في أوائل يوليو 1860، بفرقتين، الأولى للاستعراضات أو للاحتفالات، والثانية شعرية"⁸

بيد أن هذا المسرح كان موجها، بصفة خاصة، إلى الفئة العسكرية تسليية وترفيها. وفي هذا الإطار، يقول مصطفى المهماه: " أما الجمهور الذي كانت تهمة العروض المسرحية هم العسكريون، وعائلتهم للترفيه، وكانت

⁸ - مصطفى عبد السلام المهماه: نفسه، ص: 68.

الفرق الموسيقية العسكرية تجول في شوارع مدينة تطوان، لتأتي بالجمهور إلى المسرح، وتذكره بقرب ساعة البدء، (هذا التقليد شبيه بما كان يجري في المدن التي عرفت مسرح البساط، فاس و مراكش...)، وعند انتهاء العرض يكون الجنرال تورون (Toron) قد هياً فرقا صغيرة من الجيش لتصبح المتفرجين المدنيين إلى مساكنهم، وهذا يعطي الصورة الواضحة للحالة التي كانت تعيش عليها الجالية الاستعمارية في تطوان . وانتهت عروضه في 13 فبراير من سنة 1861م.⁹ وقد شهد هذا المسرح عدة عروض مسرحية إسبانية، وكانت تسبقها إعلانات واستدعاءات. وفي هذا النطاق، يقول مصطفى المهماه أيضا: "عند الانتهاء من تتيم بناء مسرح إزابيل الثانية بتطوان بدأت الفرق المسرحية تتوارد على تطوان، وكان أول عرض مسرحي في 17 غشت من السنة نفسها، وفي أول عدد من الجريدة المحلية (صدي تطوان) جاء: "...سيقام في هذه الليلة حفل استعراض مسرحي بمسرح إزابيل الثانية من ثلاثة مشاهد (اللعب بالنار) لغرسيا دلگادو، وتأليف بريري". يبدو أن أول عرض قدم من طرف فرقة دلگادو، ويبقى أن تطرح الأسئلة، بعد اتفاقية السلام، وخروج الإسبان من تطوان بعد سنة من احتلالها، ماذا كان مصير المسرح الذي بني بها في سنة 1860م؟ وأظن بالتأكيد أن المؤرخين المغاربة لم يؤرخوه ضمن أخبار حرب تطوان؟¹⁰ وقد سبب توقف مسرح إزابيلا ، في مدينة تطوان، حسرة وكآبة للجالية الإسبانية بالمدينة ؛ حيث عاد العسكر إلى بلدهم يجرون ذيول الخيبة والحزن . وفي هذا، يقول الكاتب إدوارود مالدونادو في مقاله عن (مسرح تطوان): "مع نهاية القرن لانستطيع سوى الشعور بحسرة كئيبة مصحوبة بابتسامة متسامحة، مع فضول منهوك للبدلات العسكرية، ياله من هراء متبجح من الافتخار الذي يكون عائدا مع الأشياء التي تكون عند الجنرال جهته اليمنى، ياله من حنين زواجي والجنرال المسند وفي يده مروحة زوجته، التي يرجعها نحوه بحنين، الكل مروا وذهبوا..."¹¹

⁹ - مصطفى عبد السلام المهماه: نفسه، ص: 68-69.

¹⁰ - مصطفى عبد السلام المهماه: نفسه، ص: 69.

¹¹ - إدوارود مالدونادو: (مسرح تطوان)، ص: 109-111.

وهكذا، يتبين لنا أن مسرح إزابيلا الثاني قد قام بدور هام في تنشيط الحركة الفنية والأدبية والمسرحية بمدينة تطوان ؛ حيث ساهم، لأول مرة، في إطلاع ساكنة تطوان على الفن المسرحي إبداعا وتشخيصا واستعراضا.



تطوان في القرن التاسع عشر الميلادي

المطلب الثاني: مسرح الملكة فيكتوريا

بني مسرح الملكة فيكتوريا (Reina Victoria) الصغير بتطوان سنة 1914م. وكان مسرحا موجها إلى الجمهور التطواني عامة، وعرف أيضا بمسرح المصلى القديمة، أو مسرح لونيطة (Luneta) نسبة إلى المكان أو الفضاء الذي يوجد فيه. في حين، أطلق عليه شباب المدينة "البالي" (القديم)، كما يثبت ذلك محمد أقار في روايته (برايو مالقة)¹².. وبعد ذلك، سمي بالمسرح الوطني (Teatro Nacional) في العهد الجمهوري. وقد شهد هذا المسرح حركة فنية وثقافية وأدبية متميزة فوق ركب هذا المسرح ، سواء أكان ذلك من قبل جمعيات وهيئات إسبانية أم مغربية.¹³

¹² - محمد أنقار: برايو مالقة، رواية، مطبعة إمبريما مادري، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م، ص:192

¹³ - الزبير بن الأمين: مسرح إسبانيول ذاكرة تطوان الفنية، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2015م، ص:24، الهامش.

المطلب الثالث: مسرح إسبانيول (1916م)

شيدت إسبانيا ، ما قبل عهد فرانكو (Franco)، مسرح إسبانيول سنة 1923م، ومافتئت هذه المعلمة الفنية شاهدة على حضارة إسبانيا الزاهرة عمرانيا وثقافيا وفنيا إلى يومنا هذا. وفي هذا الصدد، يقول الباحث المغربي الزبير بن الأمين في كتابه (مسرح إسبانيول ذاكرة تطوان الفنية): " كان حفل التدشين يوم الأحد 25 نوفمبر 1923، فبعد وضع الحجر الأساس لهذه المعلمة الفنية، استطاع أصحاب المشروع تحقيق إنجازهم، والوفاء بالتزامات وعودهم بالانتهاء الكلي من جميع الأشغال- في ظرف زمن قصير جدا لا يتعدى سنة وبضعة أشهر- رغم صعوبات توفر الوسائل والمواد الضرورية والمعدات المختلفة لتشييد هذه المعلمة الفنية الكبرى آنذاك، وكان هذا دليلا على أول نجاحهم، وتحقيق طموحهم نحو المستقبل. ¹⁴ "

وقد قدمت فوق خشبته الركحية مجموعة من العروض المسرحية. وكان أول عرض مسرحي إسباني يحمل عنوان (كريستالينا (Cristalina)، كوميديا درامية من تقديم المجموعة الإسبانية للتمثيل التابعة للأخوين كينطرو (Quintero)، تتقدمها الممثلة الكبيرة ماريا كامز (Maria Camez) المجيدة للأداء والبارعة الجمال، تشاركها الممثلة المقتدرة أديلا كاروني (Adela Carboné) التي أتحت الجمهور أيضا- مع سائر الممثلين والممثلات- بإتقان دورهم جميعا وتحقيق الفرجة الممتعة والمثيرة لمتتبعيهم.

بعد انتهاء الحفل خرج كل متفرج منبهرا، ومشدوها بمارأته عينه من روعة البناء وإتقانه، وما حوته جوانبه من أبهة وفخامة، وما استمتع به من جمال التعبير الفني المسرحي، وجمال الأداء الحركي، شاركا القائمين على هذه الشركة التي أكسبت تطوان معلمة فنية فاخرة، وبوأتها شأوا متميزا ثقافيا وفنيا عن سائر مدن الشمال، ولم لا القول عن سائر مدن المغرب إبان تلك المرحلة؟¹⁵

¹⁴- الزبير بن الأمين: مسرح إسبانيول ذاكرة تطوان الفنية، ص:21.

¹⁵- الزبير بن الأمين: مسرح إسبانيول ذاكرة تطوان الفنية، ص:23-24.

ويشير الزبير بن الأمين إلى أن مسرح إسبانيول قد عرف ثلاث مراحل كبرى يمكن حصرها فيما يلي:

① مرحلة التشييد للمسرح سنة 1923م؛

② مرحلة الإصلاحات الكبرى سنة 1943م؛

③ مرحلة إعادة الترميم سنة 2000م¹⁶.

وبعد الاستقلال، تحول هذا المسرح إلى قاعة للسينما، تقدم فيها الأفلام العربية والعالمية، وخاصة الهندية والمغربية والمصرية منها، بمختلف مستوياتها ودرجاتها الفنية والجمالية والتجارية.

ولم يقتصر مسرح إسبانيول على تقديم الفرجات المسرحية والسينمائية فحسب، بل كانت تقدم فيه عروض موسيقية وغنائية وفكاهية من فينة إلى أخرى.

ومن أهم المسرحيات التي عرضت في مسرح إسبانيول مسرحية (انتصار الحق بالباطل) لمؤلفها عبد الخالق الطريس، وقد قدمتها فرقة من تلاميذ المعهد الحر بتطوان في شهر يونيو سنة 1936م، على الرغم من أن المسرحية قد كتبها صاحبها سنة 1933م.

كما عرضت مسرحية (ضحية الطمع) في شهر ماي 1937م، من قبل تلاميذ هواة المسرح بالمعهد الحر بإشراف أستاذهم محمد بنونة. علاوة على مسرحية (عائشة قنديشة) للمخرج أحمد مدينة، واقتباس الحاج محمد بنونة، وقد عرضت المسرحية يوم ثاني غشت 1950م.

وعرضت مسرحية (مثلنا الأعلى: الوحدة العربية) من قبل فريق من قدماء تلاميذ المدرسة الأهلية يوم الجمعة 28 مارس 1952م. وقدمت فرقة النجم الأخضر التطوانية في ليلة الثلاثاء 5 دجنبر 1950م ثلاث مسرحيات قصيرة هي: (الغيرة في الحب)، و(المفتش)، و(شعراء الحانة).

وقدمت مسرحية (يد الشر) لفرقة الواحة للتمثيل، و مسرحية (المعلم عزوز)، ومسرحية (القلب الكبير) للأستاذ محمد الدحروش تأليفا وإخراجا، وقد عرضت المسرحية يوم السبت 27 ماي 1978م.

وقدمت مسرحية (الحافلة رقم 3) لرضوان احداو يوم الأحد 19 ماي 2002م.

¹⁶ - الزبير بن الأمين: نفسه، ص: 59

وتظل مدينة تطوان المدينة الوحيدة في المنطقة الخليفة التي استفادت من المسرح بنائية وحضارة وتمثيلا وثقافة وفكرا. في حين، بقيت منطقة الريف خارج هذه الاستفادة الفعالة؛ لأنها كانت في حالة حرب ومقاومة ونضال ضد إسبانيا؛ مما أثر ذلك سلبا في تنميتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية .



صورة قديمة لمسرح إسبانيول بمدينة تطوان



مسرح إسبانيول



عرض مسرحية في مسرح إسبانيول بتطوان

المبحث الثالث: المسرح في مدينة طنجة

ازدهر المسرح الإسباني في مدينة طنجة منذ سنة 1897م، ولاسيما أن طنجة كانت منطقة دولية لم تخضع للحماية الأجنبية. وينضاف إلى هذا أن طنجة كانت مدينة الجاليات الأجنبية، و قد أقيمت فيها جمعيات ثقافية وفنية ورياضية هدفها التعليم والتثقيف و التسلية والترفيه. وفي هذه الفترة بالذات، شهدت طنجة مجموعة من العروض الفنية والمسرحية، وبعض المنشآت المسرحية منها:

المطلب الأول: مسرح السارويلا (Zarzuela)

شيد الإسبانويون، بما فيهم أنطونيو غايغو (Antonio Gallego)، وأخته رامونا (Ramona)، وأخوه خوسي (Jose)، أول مسرح بمدينة طنجة، كان يدعى (معهد رفايل كالبو / Rafael Calvo)، وقد قدمت في هذا المسرح عروض كل من: دون بدرو ديل كادو (Don Pedro Del Gado)، وكارمين كوبينا (Carmen Cobena)، وإزابيل برو (Isabel Bru).

وفيما بعد، اشتراه السيد ديغور روميرو، وأطلق عليه اسم مسرح السارسويلا (Zarzuela). بيد أنه سرعان ما توقف نشاطه الفني. ومنذ تشييده، وهو يشهد عروضاً مختلفة من جانب الفرق الإقليمية والزائرة.

المطلب الثاني: مسرح الكازارا (Al Cazara)

شيد مسرح الكازارا (Al Cazara) في مدينة طنجة، في شهر أبريل 1913م، بمواد الخشب، وأدخلت عليه إصلاحات جوهرية إلى أن أصبح مكاناً صالحاً لتقديم الفرجات والعروض المسرحية. وقد عرضت، في هذا المكان الفني، مسرحية (حاشية فرعون) من قبل فرقة أنطونيو باسو (Antonio Paso). وقد لقيت المسرحية نجاحاً منقطع النظير طوال مدة العرض.

المطلب الثالث: مسرح التيبولي (Tivoli)

بني مسرح التيبولي (Tivoli) بشارع إسبانيا، في مدينة طنجة، و" وقد شيد كذلك من الخشب. بناه السيد روكي ليونيس، وشهد عدة عروض مسرحية وسيمفونية من أعمال بتهوفن. وكان هذا المسرح يستهوي الكثيرين من رواده، إلا أنه في شهر أكتوبر 1917. أي: قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى بقليل، أصبح في ملك جمعية الصداقة الفرنسية التي خصصته للعروض السينمائية، وهذا يدل على أن الإسبانيين استحوذوا قبل غيرهم على فن المسرح في هذه المدينة، وقد أطلق الفرنسيون على

هذا المسرح اسم (La Bombonera)، وبعد تدشينه بأيام قليلة، التهمته النيران، وجاء أهل المدينة ليشاهدوا المسرح وهو يحترق ، وفيما بعد أقيم على أطلاله مقهى عربي.¹⁷

ويعني هذا أن هذا المسرح قد قام بدور هام في تنشيط الحركة المسرحية بالمدينة، وقد استفاد منها الأجانب والمسلمون على حد سواء.

المطلب الرابع: مسرح سيريفانطيس (Cervantes)

عرفت طنجة مسرحا كبيرا في المغرب وشمال أفريقيا، وهو مسرح سرفانطيس الذي تم تشييده في 02 أبريل 1911م من قبل مانويل بينيا (Manuel Peña) وزوجته دونيا إسبيرانسا (Doña Esperanza)، وقد كلف بناؤه أكثر من نصف مليون بسيطة ، وشرع في تقديم فرجائه الفنية والمسرحية والغنائية في سنة 1913م.

و" لكي يكون المسرح في مستوى المسارح العالمية ، تعاقد السينيور بينيا (Peña) مع أشهر شركة للبناء في إسبانيا والمغرب، وهي شركة (أوخينيو ريبيرا وشركاه) التي كان يرأسها السينيور كومينديو الذي أسس فيما بعد شركة اللوكوس بالعرائش. كما وقع اختياره على المهندس البارع -وقتئذ- السينيور ديبغو خيمينيس الذي تولى الإشراف الفني والهندسي.

ولتزيين القاعة والسقف، استجلب الرسام الإسباني الشهير فديريكو ريبيرا، شقيق صاحب شركة البناء المكلفة بتشييد المسرح....

وقع اختيار موقع إقامة مسرح سرفانطيس فوق البقعة الأرضية التي كان يملكها السينيور بينيا، والتي كانت تمتد من البولفار حتى شارع صلاح الدين الأيوبي (حاليا). أما مواد البناء الحديدية والإسمنتية، فقد تم استجلابها من إسبانيا بواسطة الباخرة بيبلاكو التي كانت وقتئذ تربط الخط البحري بين طنجة وقادس والجزيرة الخضراء.

والمسرح في شكله الهندسي هو عبارة عن بناية كلاسيكية لا يقل عن سواء من المسارح المماثلة في إسبانيا وأوروبا، إطاره بيضاوي الشكل، يضم 1.500 مقعد، بتلقائية تتحول إلى بساط خشبي للرقص الجماعي

¹⁷- عبد القادر السميحي: نشأة المسرح والرياضة في المغرب ، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1986م، ص:24.

والكلاسيكي، و 300 كرسي إسفنجي (فوتويات) ، وشرفات متعددة ، ومقاعد خلفية احتياطية للجمهور المتوسط الدخل. أما الديكور الداخلي والخارجي للمسرح، فهو آية في الروعة والإتقان ، فيه الإسباني، وفيه الإيطالي، فاللوحات المرسومة على الجدران هي عبارة عن نوع من المبرد (الفريسكو) المستعمل حسب التقاليد الفنية التي وضعتها المدرسة الإيطالية في عهد النهضة. وهذا ما جعلها تحافظ على ألوانها على الرغم من السنين... والإهمال. أما الرواق الخارجي للمسرح، فكان من رسم الفنان العبقرى آنذاك بوساطو. وهذا ما جعل السنيور بينيا (Peña) يؤدي للرسامين والنحاتين، ضعف ما دفعه كثر لبناء المسرح. ومما زاد من لمعان المسرح، تزيينه بواسطة المرأة الضخمة التي صنعتها شركة لافينيانا بسرقسطة. أما الخشبة، فكانت تحتوي على 39 ديكورا وثلاثة ستائر من النوع النادر...¹⁸

وقد عرضت في هذا المسرح مجموعة من الأعمال الفنية والموسيقية والمسرحية ، سواء أكانت عالمية أم عربية، منها فرقة الإيطالي إيميليو جيوفاني، والفرق المسرحية العربية والمغربية، مثل: فرقة يوسف وهبي ، وفرقة فاطمة رشدي، ومسرحيات (صلاح الدين الأيوبي)، و(مجنون ليلى)، و(موسى بن نصير)، و(الرشيد والبرامكة)، و(كليلة ودمنة) ... وبعد استقلال المغرب، فوتت إسبانيا هذا المسرح إلى المجلس البلدي لمدينة طنجة من أجل الإشراف عليه تدبيرا وتسييرا وتتبعاً. بيد أن معالم هذا المسرح قد ضاعت بسبب الإهمال والتفاس والتسيب والتماطل البيروقراطي.

¹⁸ - عبد القادر السميحي: نشأة المسرح والرياضة في المغرب، صص: 42-43.



مسرح سيريفانتيس بطنجة



المبحث الرابع: المسرح في مدينة أصيلة

عرف شمال المغرب، في عهد الإسبان، منذ 1918م، تشييد مجموعة من المسارح لخدمة الجالية الإسبانية ترفيهياً وتسليةً وثقافياً، مع تعريف الساكنة المحلية بفن المسرح بصفة عامة، والمسرح الإسباني بصفة خاصة. ومن بين هذه المسارح التي نشطت فيها الحركة المسرحية مسرح إسبانيا بمدينة أصيلة التي عرضت فيه عدة مسرحيات أجنبية ومسرحيات عربية ومغربية.

المبحث الخامس: المسرح في مدينة العرائش

أسست بمدينة العرائش مسارح متنوعة إبان فترة الحماية الإسبانية، منها : مسرح كوليزيو (Colisio)، ومسرح إسبانيا (España). وقد عرضت، في هذين المسرحين، مجموعة من المسرحيات الأجنبية والعربية، مثل: مسرحية (كلنا ظالم ومظلوم) التي قدمتها فرقة الهلال التطوانية على خشبة مسرح إسبانيا بتاريخ 06 مارس سنة 1953م، وهي مسرحية مغربية اجتماعية من إخراج محمد النشاش. كما قدمت فرقة الواحة للتمثيل مسرحيتها (الأب النادم) للجمهور العرائشي تسليةً وترفيهاً وتنويراً.

المبحث السادس: المسرح في مدينة القصر الكبير

عرفت مدينة القصر الكبير بدورها مسرحاً في فترة التواجد المحتل الإسباني، وهو مسرح بيرري كالدوس (Perez Caldos)، وكان يستقبل الجالية الإسبانية، كما كان يستقبل الساكنة المحلية. وقد قام هذا المسرح بدور هام في تنشيط الحركة الفنية والأدبية والمسرحية في هذه المدينة المحتلة آنذاك.

المبحث السابع: المسرح في مدينة الحسيمة

عرفت مدينة الحسيمة بدورها مسارح فنية على غرار مدن المنطقة الخلفية الأخرى، وكانت مخصصة للجالية الإسبانية، ولاسيما العسكرية

منها، للترفيه والتسلية والتثقيف. وفي هذا الصدد، يقول المفتوحى أحمد بوقرب في كتابه (**منطقة الحسيمة عبر التاريخ**): " وأول سينما بني فيها هو سينما (فخاردو) الذي كان يشتغل كسينما صيفية، ثم بعد ذلك المسرح الإسباني (تياترو إسبانيول) الذي كان يتسع لأكثر من 1000 شخص بطبقة واحدة هي (Butacas) و(Galliniras) في الطابق العلوي المحتوي على كراس خشبية من الألواح الغليظة والطويلة، وكان يستعمل كذلك كمكان للملاكمة والحفلات. وبعد ذلك، أصبح المسرح الإسباني يستعمل أيام السبت والأحد للجنود فقط، خصوصا بعد أن أصبح غير صالح للاستعمال، بعد أن تشقق سقفه المكون من القصدير الإسمنتي، فأصبحت الأمطار تتسرب إليه من كل مكان، كما أنشئ (تياترو) الأندلس الذي بنى قبالة ساحة أفريقيا، وكان أصغر من المسرح الأول.¹⁹ ويعني هذا أن مدينة الحسيمة قد استفادت من المنشآت المسرحية مثل المدن الشمالية الأخرى.

المبحث الثامن: المسرح في مدينة الناظور

لم تعرف مدينة الناظور، على حد علمي، منشآت مسرحية كباقي مدن المنطقة الخليفية (الحسيمة، وتطوان، وطنجة، والعرائش، وأصيلا، والقصر الكبير)، بل يمكن الحديث عن قاعة متعددة الاختصاصات، تسمى (بـ) كاسا بيسكا / Casa Pesca) أو نادي الصيادين، كان يتجمع فيها المسرحيون، وتعرض فيها الأعمال الدرامية والفنية والمسرحية. وثمة قاعات سينمائية أخرى كانت تعرض فيها المسرحيات الأجنبية، مثل: قاعة سينما فيكتوريا (Victoria)، وسينما سلوان،...

¹⁹ - المفتوحى أحمد بوقرب: **منطقة الحسيمة عبر التاريخ**، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى 2013م، ص: 188-189.



كاسا بيسكا قاعة مسرحية متعددة الاختصاصات بالناظور

المبحث التاسع: مسرح إسبانيول في مدينة الدار البيضاء

شيدت إسبانيا في المغرب مسرحا في مدينة الدار البيضاء، يسمى بمسرح إسبانيول، في 06 غشت 1934م، وكان المسؤول عنه جيرمينال كاسادو (**Germinal Casado**) الذي كان مديرا للمسرح ومخرجا وسينوغرافيا وكوريغرافيا. وفي هذا الصدد، يقول مصطفى المهماه: "لقد كانت فترة 1913 من أهم الفترات التي نشط فيها المسرح بالمغرب، ليس في بناء مسرح سرفانطيس بمدينة طنجة فقط، بل عمل الإسبان على بناء مجموعة من المسارح في المدن الشمالية الأخرى، ابتداء من سنة 1918، مسرح إسبانيا بأصيلة والعرائش والقصر الكبير، ومسرح الإسبانيول بالدار البيضاء الذي بناه خلال فترة احتلاله لها، وتجدر الإشارة إلى أنه وقع تطور في إعادة بناء القاعات، لقد كانت في أول أمرها من خشب فقط، ثم أعيد بناؤها على شكل المسارح التقليدية الكلاسيكية.²⁰ ويعني هذا أن المنطقة الفرنسية قد استفادت بدورها من المسارح الإسبانية كمسرح إسبانيا بالدار البيضاء.

²⁰ - مصطفى المهماه: نفسه، ص: 72.

و**خلاصة القول**، تلکم، إذآ، أهم المسارح التي بناها المستعمر الإسباني في شمال المغرب بغية نشر رسالة التمدن والتحضر والرقى. وقد استفادت تطوان وطنجة - فعلا- من هذه المؤسسات المسرحيات بشكل إيجابي. في حين، كانت الاستفادة ضعيفة بالمدن الشمالية الأخرى، مثل: الناظور، والحسيمة، وأصيلة، والعرائش، والقصر الكبير. وبالتالي، فقد كان الهدف من بناء هذه المسارح هو تسلية الجالية الإسبانية المقيمة بشمال المغرب، والترفيه عن الجيش والعسكر. في حين، كانت استفادة الجمهور المغربي المحلي من هذه البنايات المسرحية محدودة جدا.

الفصل الثاني:

البنائات المسرحية بالمغرب
من الحماية الفرنسية إلى ما بعد الاستقلال

تميزت فترة محمد الخامس، أو محمد بن يوسف (1927-1961م)، بخاصية التأسيس على جميع النواحي والمجالات الثقافية والفنية والفكرية. ويعني هذا أن نشأة المسرح المغربي قد تحققت - فعليا- في تلك الفترة نفسها التي تولى فيها السلطان محمد الخامس عرش أسلافه المنعمين. وقد شهدت هذه الفترة مرحلتين تاريخيتين أساسيتين من الناحية السياسية هما: مرحلة المطالبة بالإصلاحات (1936-1939م)، ومرحلة المطالبة بالاستقلال(1944-1956م).

ومن ثم، فقد كانت الثقافة المغربية، في كل فنونها وعلومها ومعارفها وآدابها، تعكس تناقضات هذه الفترة مباشرة و غير مباشرة. فما كان يقع على مستوى الواقع الموضوعي من صراع مع المستعمر، كانت الثقافة المغربية تعكسه جدليا أو مرأويا أو تماثليا على صعيد البنية الفوقية أو الجمالية أو الفكرية.

ومن ثم، فقد كانت الثقافة بصفة عامة، والفن بصفة خاصة، في خدمة القضية الوطنية الساعية إلى تحرير المغرب من قبضة المستعمر. وبالتالي، فقد كان المسرح أداة للتوعية والتثقيف والتنوير أكثر مما كان أداة للتسلية والترفيه والإمتاع. لذا، فقد عم إشعاعه جميع الفئات الشعبية في هذه الفترة بالذات، وصار أداة للنضال والمقاومة ومواجهة المستعمر الأجنبي، سواء أكان فرنسيا أم إسبانيا.

وبعد محمد الخامس، انتعش المسرح المغربي في عهدي الحسن الثاني ومحمد السادس على مستوى العروض نصا، وتأثيرا، وتشخيصا، وإخراجا. ويعود السبب في ذلك إلى وجود بنايات مسرحية متنوعة ومختلفة من حيث المساحة الإجمالية، والبناء المعماري، والتزيين الهندسي. إذاً، ما أهم البنائيات المسرحية التي بنيت في عهد الاستعمار الفرنسي وفي فترة مابعد الاستقلال؟ وما مميزاتا المعمارية والفنية والجمالية والثقافية والتنشيطية؟ هذا ما سوف نتبينه عبر هذه المباحث التالية:

المبحث الأول: البنايات المسرحية في العهد الكولونيالي الفرنسي

على الرغم من وجود بنايات مسرحية أقامها المستعمر الإسباني والفرنسي معا في مجموعة من المدن، مثل: طنجة، وتطوان، وأصيلا، والعرائش، والقصر الكبير، وفاس، والدار البيضاء، والجديدة، إلا أن المسرحيين المغاربة كانوا يعرضون أعمالهم الدرامية في الفنادق، والمقاهي، والأسواق، والمواسم، والساحات العمومية، والمدارس والمعاهد والثانويات. وذلك راجع إلى غلاء القاعات المسرحية الأجنبية من جهة، ومنع المستعمر لكل الأنشطة الفنية والثقافية التي يشم فيها رائحة التحدي والمقاومة والنضال من جهة أخرى. وفي هذا السياق، يقول مصطفى بغداد، في كتابه (المسرح المغربي قبل الاستقلال): " وبالرغم من وجود هذه المسارح، فقد كان المسرحيون يضطرون إلى عرض مسرحياتهم في الدور أو الساحات العمومية أو الحدائق أو مسارح في الهواء الطلق، لأن الترخيص لهم بعرض مسرحياتهم في المسارح المعروفة كالمسرح البلدي بالبيضاء أو سرفانطيس بطنجة أو المسرح البلدي بالجديدة كان أمرا صعبا، ولذلك كان المسرحيون يعتمدون على القاعات السينمائية وعلى مسارح الهواء الطلق مثل مسرح المدينة الرومانية المغربية (فولبيليس) وليلي، ومسرح العراء القائم الآن بمكناس، وعلى الساحات العمومية والمآثر التاريخية كلما كانت وقائع المسرحية ملائمة لذلك".²¹ إذاً، كانت المسارح الأوروبية مقتصرة، في عمومها، على الجاليات الأجنبية، ولاسيما العسكرية منها، تسلية وترفيها وتثقيفا. أما الوطنيون المغاربة، فقد اختاروا الفضاءات المفتوحة، أو الفضاءات المغلقة المتوارية عن أنظار المراقبة العسكرية، وخاصة إذا كانت العروض المسرحية ذات مقاصد وطنية وقومية، وذات أهداف نضالية وعسكرية وجهادية.

²¹ - مصطفى بغداد: المسرح المغربي قبل الاستقلال، دار القرويين، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2000م، ص: 58.

ويمكن الحديث عن بعض المسارح التي بنيت في عهد الفترة الكولونيالية الفرنسية، بالتوقف عند البنائيات التالية:

المطلب الأول: المهلى الفرنسي بمدينة فاس

تأسس المهلى الفرنسي بمدينة فاس سنة 1917م لتقديم العروض المسرحية، وتقريب الفرحة الدرامية من الجالية الأوروبية، وأيضا من بعض الزوار المغاربة. وقد بني هذا المسرح في شارع بطحاء التجارة بالملاح اليهودي. وقد شيد أيضا بطريقة معمارية عصرية، وفق هندسة أنيقة وجذابة. ولكن هذا المسرح لم يدم كثيرا. وفي هذا، يقول رشيد بناني: "ولكن الظاهر أن هذا المسرح لم يعمر طويلا، كما لم يكن له أثر يذكر على المسرح المغربي"²².

وللإشارة فإن المهلى الفرنسي كان يرتاده الأوروبيون والمسلمون على حد سواء بغية رصد العروض المسرحية. وفي هذا، يقول أحد مراسلي جريدة (السعادة) المغربية: "شاهدنا المهلى الفرنسي منذ افتتاحه تتقاطر عليه وفود السكان من المسلمين والأوروبيين، والكل يتباهى بين جدرانه، فكأنه سوق أدب، وكأنه معرض سرور، يتأثر المشاهد بأدوار التمثيل، وتتحرك إحساساته تبعا لحركات الممثلين، فمرة يشاهد الإنسان أمام الأدوار التمثيلية بحالة كئيبة يرثي لتعاسة الأشقياء، وأونة يترنح جدلا مع الفرحين، كل هذا والأنفس مرتاحة لما تتخلل تلك الأدوار التشخيصية من تشنيف الأسماع بنغمات الألحان الموسيقية المطربة، يشاهد الإنسان أمام مسرح التمثيل كأنه يعيش بين أهالي الأزمان الغابرة والأقطار البعيدة، ورغما عن ذلك، فهو يمكنه أن يستفيد بمعرفة أخلاق الأمم، وتنوير أفكاره باللطائف الأدبية والتاريخية وغيرها مما لا تنكر مواعظه"²³.

²²- رشيد بناني: المسرح المغربي قبل الاستقلال، دار الوطن للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2008م، الهامش، ص:115.

²³- المراسل: (المهلى الفرنسي بفاس)، جريدة السعادة، المغرب، العدد، 1512، بتاريخ 18 يونيو 1917م.

ويعني هذا أن الملهى الفرنساوي عبارة عن مسرح تقدم فيه العروض المسرحية الكوميدية والتراجيدية للجالية الأروبية، وكان المغاربة يستمتعون أيضا بهذه الفرجات الدرامية المتنوعة من حيث الموضوع والعرض والدراما والإخراج. بيد أن هذا المسرح سرعان ما انطفأت شعلته الفنية والثقافية.

المطلب الثاني: المسرح البلدي بالدار البيضاء

تأسس المسرح البلدي بمدينة الدار البيضاء سنة 1920م، وقد أسسه المقيم الفرنسي بالمغرب المارشال هوبير ليوطي ليكون مؤسسة فنية للتسلية والترفيه والتثقيف، وتكون في خدمة الجالية الأروبية، وفي خدمة الجنود والعسكر الفرنسيين. و" قد قيل عن هذا المسرح حين تم تشييده أنه سيكون مسرحا مؤقتا في انتظار بناء مسرح بلدي جدير بالمدينة، ولكن هذا الطموح لم يترجم إلى واقع. ولم يكن المغاربة يحصلون بسهولة على رخصة العرض بقاعة المسرح البلدي بالدار البيضاء، لأنه كان خاصا تقريبا بالفرق الفرنسية العاملة بالمغرب أو الزائرة من أروبا. وحين كانت العروض المغربية القليلة تقدم فيه كان كراء القاعة يحتاج إلى إمكانات مالية فوق الطاقة، ووساطة شخصيات نافذة؛ كما كانت الفرق العربية تقدم عروضها النادرة في الغالب على هامش البرنامج العادي مساء يوم الاثنين وهو يوم عطلة المسرح الأسبوعية. وقد هدم المسرح البلدي بالدار البيضاء في سنة 1984م.²⁴

وقد عرضت في هذا المسرح عروض مسرحية فرنسية وأجنبية وعربية ومغربية، منها مسرحيات فاطمة رشدي سنة 1932م، ومسرحيات فرقة يوسف وهبي، إلى جانب سهرات المغني والفنان البلجيكي جاك بريل، والمغنية والراقصة جوزيفين بايكر، والفنانة المصرية أم كلثوم... وبصفة عامة، فقد خصت هذه البناية للمسرح والموسيقا والسينما والندوات الثقافية والفنية، والروشات التكوينية. وقد شهد ركح هذا المسرح أنشطة فنية وثقافية لكثير من المبدعين والفنانين والمسرحيين المغاربة،

²⁴ - رشيد بناني: المسرح المغربي قبل الاستقلال، الهامش، ص: 145.

كالطيب الصديقي، ومحمد مفتاح، وثرثيا جبران، ومجموع ة تكادة، وناس الغيوان، وجيل جلالة ...

وقد قدم الطيب الصديقي مختلف عروضه المسرحية في المقهى الملحق بالمسرح البلدي بالدار البيضاء، وهذا ما يسمى بتجربة مسرح المقهى، وقد عرض الصديقي في هذا المكان المفتوح مجموعة من المسرحيات التجريبية، لكن سرعان ماتحول هذا المقهى إلى رواق تعرض فيه إنتاجات الفنون التشكيلية.

وقد تعرض المسرح البلدي بالدار البيضاء إلى الغلق ثم الهدم ابتداء من سنة 1984م ليعوض بمسرح كبير يسمى بكازا فن أكثر جاذبية واتساعا وتقنية ليستوعب عددا كبيرا من المدعوين والزائرين المتعطشين إلى فن المسرح.

المطلب الثالث: المسرح البلدي بمدينة الجديدة

تأسس المسرح البلدي بمدينة الجديدة، باعتباره بناية مسرحية، سنة 1930م إبان التواجد الاستعمار الفرنسي. وقد شيد هذا المسرح ليكون فضاء فرجويا للجالية الفرنسية وباقي الجاليات الغربية الأخرى. وقد كان المغاربة يستمتعون بدورهم بما يقدم فوق خشبة هذا المسرح من عروض درامية كوميدية وتراجيدية متنوعة، من حيث المواضيع المطروقة، والأشكال السينوغرافية، والتجارب الميزانسينية (الإخراجية).

وقد عرضت في هذا المسرح أول مسرحية لمولير بعنوان (المريض). وظل هذا المسرح حتى 1946م يقدم فيه المسرحيات الفرنسية حتى قدمت مسرحية مغربية بعنوان (إزاحة أمين) للمخرج إدريس لمسفر. وفي سنة 1950م، قدم المخرج اليهودي المغربي حليم مسرحية بعنوان (ابن الشاوية). وبعد ذلك، شهد هذا المسرح انطلاقة مسرحية فعلية منذ سنوات الخمسين على مستوى تقديم العروض الأجنبية والمغربية على حد سواء، إلى جانب تنظيم ندوات وورشات التكوين المتنوعة، في مختلف التخصصات وفروع فن المسرح.

ولم يعرف مسرح الجديدة انتعاشه الفني والثقافي الحقيقي إلا مع مديرها البارز المرحوم السيد محمد سعيد عفيفي الذي كون مجموعة من الفرق

المسرحية النشيطة بالمدينة ابتداء من سنوات الستين؛ حيث تحمل مسؤولية إدارة المسرح البلدي ما بين سنتي 1969 و 1974 ، وأنتج أعمالاً فنية مهمة إبان هذه الفترة ذاتها، منها : (السوانح)، و (التكعيعة)، و(البوعزيزي)، و(اعمايل حجا)، و(البخيل).

وقد شهد ركح هذا المسرح أيضاً عروضاً فنية مسرحية متنوعة و متميزة كعروض فرقة المعمورة، وفرقة أصدقاء المسرح الفرنسي، وفرقة يوسف وهبي، وفرق أخرى...

ومن أهم الممثلين الذين تخرجوا من هذه المعلمة المسرحية إدريس السملالي، وعبد الله ندام، وصيكوك مصطفى، ومحمد الدرهم، ومحمد بنبراهيم، ومحمد براضي، وأمينة نيازي، ومازور...

وقد تعرض المسرح البلدي للتجديد والترميم والإصلاح من قبل السلطات المحلية منذ سنة 1994م، وقد شمل الإصلاح قاعات العرض والكراسي والمقاعد والصبغة والأرصفة والأجهزة التقنية والكهربائية ، وإحداث ركح للآلات الموسيقية التي يتحكم فيها بطريقة آلية متطورة ، وهو الأول من نوعه في مسارح المغرب.

ويمكن أن يقوم المسرح بأدوار ووظائف أخرى، مثل: عرض الأفلام السينمائية، وتقديم الندوات والمحاضرات واللقاءات الفكرية والعلمية المختلفة وباقي الأنشطة الفنية الأخرى. ويشمل المسرح، الآن، 500 مقعد.

المبحث الثاني: البنايات المسرحية في عهد الاستقلال

شهد المغرب نهضة مسرحية كبرى بعد الاستقلال في مجال المسرح ، بعد أن تخرج كثير من الممثلين والمخرجين والسينوغرافيين من مؤسسات تكوينية داخل المغرب وخارجه. وبالتالي، لا يمكن الحديث عن نهضة ثقافية في بلد ما إلا بتشديد قاعات العروض المسرحية، وتشجيع الناس على الإقبال عليها بشكل لافت للانتباه، على أساس أن المسرح أداة للتوعية والتنوير والتثقيف، ووسيلة لمحاربة الأمية والجهل. ويكون رقي الأمم والدول بعدد مسارحها ومركباتها الثقافية. ويقاس أيضاً بكثرة الأنشطة الثقافية طوال السنة الثقافية أكملها، وكثرة الجماهير التي تحضر هذه العروض والتظاهرات الثقافية والفنية والأدبية.

ويعد المسرح كذلك مسلكا حقيقيا للإفادة والإقناع والإمتاع. ولا يمكن للمسرح العربي أن يحقق ازدهاره إلا بتشديد المسارح الفنية الواسعة والرحبة، وإنشاء المعاهد التابعة لها للتعليم والتكوين والتأطير في الموسيقى، والرقص، والغناء، والسينوغرافيا، والكتابة، والإخراج، والأداء، والتمثيل، والتشكيل، والتصوير، والسينما... علاوة على ذلك، لابد من بناء المركبات الثقافية التي تتوفر على قاعات للمسرح، ومكتبات فنية، وقاعات للتدريب والتكوين والتأطير بغية تقديم فرجات درامية، سواء أكانت تراجمية أم كوميدية أم مختلطة، تجمع بين الملهة والمأساة²⁵.

ولابد كذلك من مراعاة الخصوصيات الحضارية والثقافية حين بناء المسارح وتشبيدها وتأسيسها؛ حيث تخضع هندستها المعمارية للخصوصية العربية هوية وتأصيلا وتأسيسا. بمعنى أن تتلاءم المسارح مع الفضاءات العربية الفرجوية (الأسواق، والمواسم، والزوايا، والأضرحة، والملاعب، والساحات...)، كأن تؤسس الدولة أو المؤسسات الخاصة مسارح دائرية أو شبه دائرية في فضاءات مفتوحة، كفضاء الحلقة، وفضاءات المسرح الاحتفالي...، مع التحرر من الفضاءات المسرحية الغربية المغلقة، بما فيها مسرح العلبة الإيطالية. وعليه، فقد شهد المغرب نهضة مسرحية كبرى بعد الاستقلال في مجال المسرح، بعد أن تخرج كثير من الممثلين والمخرجين والسينوغرافيين من مؤسسات تكوينية داخل المغرب وخارجه. وبالتالي، أنشأت الدولة مجموعة من المسارح الصغرى والمتوسطة والكبرى لتقريب الفرجة الفنية من المواطنين المغاربة. فقد شيد، على سبيل المثال، عدة مسارح في مدن المغرب كمسرحي علال الفاسي ومحمد الخامس بالرباط، ومسرحي مولاي رشيد و سيدي بليوط بالدار البيضاء، والمسرح البلدي بتازة. بالإضافة إلى عدد كبير من المسارح والمركبات الثقافية الموزعة على المدن المغربية وقراها، بالناظور، وفاس، ومكناس، وطنجة، والحسيمة، ومراكش، وتطوان...

²⁵- انظر جميل حمداوي : محاضرات في فن المسرح، مكتبة سلمى الثقافية، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2016م.

المبحث الثالث: مسارح مغربية كبرى في الألفية الثالثة

شيد المغرب ، في سنوات الألفية الثالثة، وبالضبط في عهد جلالة الملك محمد السادس نصره الله، مسارح كبرى من الطراز الدولي ، مثل المسارح التالية:

المطلب الأول: مسرح محمد السادس بوجدة

بنت الدولة المغربية بمدينة وجدة مسرحا دوليا كبيرا من نوعه يسمى بمسرح محمد السادس، ويتسع لـ 1200 مقعد. ويضم أيضا قاعة للعروض، وقاعات للكواليس، وقاعات للفنانين ، وثمانية ورشات ، وفضاء لضيوف الشرف، ويشمل كذلك جميع المرافق المطلوبة في هذا النوع من المنشآت. وتبلغ المساحة الإجمالية للمسرح 6.500 متر مربع ، منها 4.900 متر مربع مغطاة. و يحوي هذا المسرح كذلك على المرافق الضرورية كلها التي توجد عادة في المسارح العالمية الكبرى ، و قد بلغت تكلفة إنجازه ثمانية ملايين سنتيم.

وفي إطار فعاليات الرباط عاصمة الشباب العربي لسنة 2016م التي نظمت تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، نظمت وزارة الشباب والرياضة ، بالتنسيق مع جامعة الدول العربية، المهرجان العربي لمسرح الشباب خلال الفترة الممتدة من 23 إلى 30 يوليوز 2016م، بمسرح محمد السادس بمدينة وجدة، بشعار " من أجل شباب متعاشين ومبدعين".

المطلب الثاني: مسرح كازا فن بالدار البيضاء

شيدت الدولة المغربية أيضا المسرح الكبير الذي يسمى بكازا فن (Casa Arts) بالدار البيضاء فوق مساحة تقدر بهكتار ونصف. أي: على مساحة 24 ألف متر مربع تشمل المساحات المغطاة . ويعد هذا المسرح من أهم

المركبات الثقافية في أفريقيا والوطن العربي، ويستقبل وعروض ثقافية وفنية من الحجم الدولي على طول السنة. ويضم هذا المسرح كذلك قاعات للعروض الفنية (1800 مقعد)، وقاعة للعروض المسرحية (600 مقعد)، وقاعة للحفلات الموسيقية (300 مقعد)، وفضاءات للتمرين والإبداع، وورشات تعليمية للأطفال، وقرية للفنانين والتقنيين، وفضاءات تجارية، وأخرى في الهواء الطلق مخصصة للحفلات الفنية، تتسع لـ 35 ألف شخص. وتبلغ التكلفة الإجمالية لمشروع بناء هذا المسرح 144 مليار سنتيم.

المطلب الثالث: المسرح الكبير بالرباط

يرتقب بناء المسرح الكبير بالرباط الذي سيجعل العاصمة الإدارية واحدة من كبريات العواصم الثقافية العالمية . ويشمل هذا المسرح قاعة كبرى للعروض، وتبلغ طاقتها الاستيعابية 2050 مقعد، وقاعة ثانوية للعروض بطاقة 520 مقعد، ثم فضاء مسرحي كبيراً بالهواء الطلق لـ 7000 متفرج لاستقبال مختلف التظاهرات الموسيقية والفنية . علاوة على مرافق أخرى متنوعة.

وسيكلف بناء هذا المسرح مليار و 350 مليون درهم، وعلى مساحة إجمالية تبلغ 47 ألف متر مربع . ويقع المسرح في الضفة اليسرى لنهر أبي رقرق، ويتخذ هذا المسرح طابعا ثقافيا وفنيا مهما؛ لأنه يتوسط معالم تاريخية ، يعود بعضها إلى القرن الثاني عشر الميلادي كشالة والأودية ثم صومعة حسان. وسيكون هذا المسرح قريبا من مجمل المشاريع السياحية والثقافية الجديدة التي ستشهدها الرباط على ضفتي نهر أبي رقرق.

وخلاصة القول، تلکم ، إذاً، أهم البنایات المسرحية التي بناها المستعمر الفرنسي لجاليته المدنية والعسكرية، وقد كانت في خدمة الفرنسيين والأجانب أكثر مما كانت في خدمة المغاربة.

ومن جهة أخرى، فقد شهد المغرب إبان الاستقلال وبعده بناء العديد من المسارح والمركبات الثقافية والمسارح الكبرى التي جعلت المغرب من الدول الرائدة في هذا المجال على الصعيدين العربي والأفريقي.

الخاتمة

وخلاصة القول، يتبين لنا ، مما سبق ذكره، أن إسبانيا قد أدت خدمات جلى وكبيرة للمغرب في مجال فن المسرح مقارنة بما قدمته فرنسا في هذا المجال بالذات. والدليل على ذلك ما شيدته من قاعات مسرحية في مدن الشمال ومدينة الدار البيضاء. وبالتالي، فقد ساهمت هذه البنايات المهمة في تنشيط الحركة المسرحية المغربية تأليفا وإخراجا وتمثيلا وتأثيلا. كما تعلم المسرحيون المغاربة الكثير الكثير من التقنيات المسرحية بفضل احتكاكهم الفني والثقافي بالأطر الأجنبية ، ولاسيما الإسبانية منها. كما شعر المبدعون والمسرحيون المغاربة بالحرية الفنية أكثر في المنطقة الشمالية مما شعروا بها في المنطقة الفرنسية.

وعلى الرغم من هذه المركبات والمنشآت المسرحية، فقد كان المسرحيون المغاربة يعرضون أعمالهم الدرامية في الفنادق، والمقاهي، والأسواق، والمواسم، والساحات العمومية، والمدارس والمعاهد والثانويات بسبب غلاء القاعات المسرحية الأجنبية من جهة، ومنع المستعمر لكل الأنشطة الفنية والثقافية التي تشتم فيها رائحة التحدي والمقاومة والنضال من جهة أخرى. وفي هذا السياق، يقول مصطفى بغداد، في كتابه (**المسرح المغربي قبل الاستقلال**):" وبالرغم من وجود هذه المسارح، فقد كان المسرحيون يضطرون إلى عرض مسرحياتهم في الدور أو الساحات العمومية أو الحدائق أو مسارح في الهواء الطلق، لأن الترخيص لهم بعرض مسرحياتهم في المسارح المعروفة كالمسرح البلدي بالبيضاء أو سرفانطيس بطنجة أو المسرح البلدي بالجديدة كان أمرا صعبا، ولذلك كان المسرحيون (يعتمدون على القاعات السينمائية وعلى مسارح الهواء الطلق مثل مسرح المدينة الرومانية المغربية (فولبيليس) وليلي، ومسرح العراء القائم الآن بمكناس، وعلى الساحات العمومية والمآثر التاريخية كلما كانت وقائع المسرحية ملائمة لذلك)"²⁶.

وقد شهد المغرب بعد الاستقلال عدة بنايات مسرحية متنوعة، فيها المسارح الصغيرة، والمتوسطة، والكبيرة. فضلا عن المركبات الثقافية العديدة التي توجد عبر التراب الوطني.

²⁶- مصطفى بغداد: المسرح المغربي قبل الاستقلال ، دار القرويين، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2000م، ص:58.

وفي الوقت نفسه، لائنسى المشاريع المسرحية الكبرى التي حقق بها المغرب ريادة متميزة على الصعيدين العربي والأفريقي، مثل: مسرح محمد السادس بوجدة، ومسرح كازا فن بالدار البيضاء، والمسرح الكبير بالرباط.

ثبت المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- 1- جميل حمداوي : محاضرات في فن المسرح ، مكتبة سلمى الثقافية، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2016م.
- 2- رشيد بناني: المسرح المغربي قبل الاستقلال، دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2008م.
- 3- الزبير بن الأمين: مسرح إسبانيول ذاكرة تطوان الفنية، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2015م.
- 4- عبد القادر السميحي: نشأة المسرح والرياضة في المغرب ، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1986م.
- 5- محمد أنقار: باريو مالقة، رواية، مطبعة إمبريما مادري، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م.
- 6- مصطفى بغداد: المسرح المغربي قبل الاستقلال، دار القرويين، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2000م.
- 7- مصطفى عبد السلام المهماه: تاريخ مسرح الطفل في المغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1986م.
- 8- المفتوح أحمد بوقرب: منطقة الحسيمة عبر التاريخ، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى 2013م.

المقالات:

- 9- إدوار دو مالدونادو: (مسرح تطوان) ، مجلة أفريقيا، تطوان، المغرب، سنة 1953م.
- 10- السائح التونسي: (العلاقات المسرحية بين المغرب وتونس)، حوار مع المؤرخ عثمان الكعاك، جريدة العلم، المغرب، العدد: 97، بتاريخ 2يناير 1947م.
- 11- المراسل: (الملهى الفرنساوي بفاس)، جريدة السعادة، المغرب، العدد، 1512، بتاريخ 18 يونيو 1917م.

12- عبد القادر السميحي: نشأة المسرح والرياضة في المغرب ، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1986م.

الملاحق



المسرح البلدي بالدار البيضاء

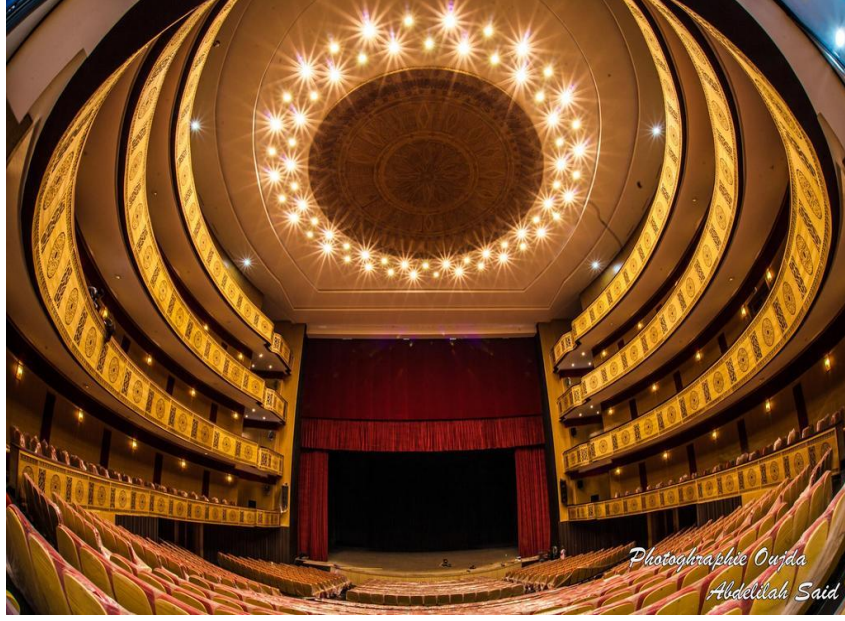




المسرح في مدينة الجديدة



مسرح الرباط



مسرح محمد السادس بوجدة



مسرح كازا فن

السيرة الذاتية



- جميل حمداوي من مواليد مدينة الناظور سنة 1963م.
- حاصل على دبلوم الدراسات العليا سنة 1996م.
- حاصل على دكتوراه الدولة سنة 2001م.
- حاصل على إجازتين: الأولى في الأدب العربي، والثانية في الشريعة والقانون.
- تابع دراساته الجامعية في الفلسفة وعلم الاجتماع.
- أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالناظور.
- أستاذ الأدب الرقمي بماستر الكتابة النسائية بكلية الآداب تطوان .
- باحث في السوسولوجيا، والسيكولوجيا، والبيداغوجيا، والأنثروبولوجيا، و العلوم السياسية، و الفن ، والفلسفة والفكر الإسلامي، والقانون والشريعة.
- أستاذ الأدب العربي، ومناهج البحث التربوي، وعلم النفس التربوي، والإحصاء التربوي، وعلوم التربية، والتربية الفنية، والحضارة الأمازيغية، وديكتيك التعليم الأولي، والحياة المدرسية والتشريع التربوي، والإدارة التربوية، والكتابة النسائية...
- أديب ومبدع وناقد وباحث، يشتغل ضمن رؤية أكاديمية موسوعية.
- شاعر وقصاص وكاتب مسرحي، يكتب للصغار والكبار.
- مثل دورا سينمائيا في الفيلم الأمازيغي (عسل المرارة) لمنتجه عبد الله فركوس، وإخراج علي الطاهري

- حصل مقاله (نظرية ما بعد الاستعمار) على جائزة الموقع السعودي (الألوكة).
- حصل على جائزة مؤسسة المثقف العربي (سيدني/أستراليا) لعام 2011م في النقد والدراسات الأدبية.
- حصل على جائزة ناجي النعمان الأدبية سنة 2014م.
- عضو الاتحاد العالمي للجامعات والكليات بهولندا.
- رئيس الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا.
- رئيس المهرجان العربي للقصة القصيرة جدا.
- رئيس الهيئة العربية لنقاد القصة القصيرة جدا.
- رئيس الهيئة العربية لنقاد الكتابة الشذرية ومبدعيها.
- رئيس جمعية الجسور للبحث في الثقافة والفنون.
- رئيس مختبر المسرح الأمازيغي.
- عضو الجمعية العربية لنقاد المسرح.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- عضو اتحاد كتاب العرب.
- عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب.
- عضو اتحاد كتاب المغرب.
- له إسهامات نظرية في التربية، وفن القصة القصيرة جدا، وفن الكتابة الشذرية، والأدب الرقمي، والمسرح، ومناهج النقد الأدبي، والكتابة النسوية، والبلاغة الرحبة...
- باحث في الثقافة الأمازيغية المغربية، ولاسيما الريفية منها.
- خبير في البيداغوجيا والديكتيك والثقافة الأمازيغية.
- ترجمت مقالاته إلى اللغة الفرنسية و اللغة الكردية.
- نشرت كتبه بالمغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا، والأردن، ولبنان، والمملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، والعراق.
- شارك في مهرجانات عربية عدة في كل من: الجزائر، وتونس، وليبيا، ومصر، والأردن، والسعودية، والبحرين، والعراق، والإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان...
- مستشار في مجموعة من الصحف والمجلات والجرائد والدوريات الوطنية والعربية.

- نشر أكثر من ألف وسبعين مقال علمي محكم وغير محكم، وعددا كثيرا من المقالات الإلكترونية. وله أكثر من (144) كتاب ورقي، وأكثر من مائتي (200) كتاب إلكتروني منشور في موقعي (المنقف) وموقع (الألوكة)، وموقع (أدب فن)، والموقع الشخصي للباحث. وبالمجموع له (344) كتاب بين ماهو ورقي وإلكتروني.

- ومن أهم كتبه: خصائص الكتابة النسائية في القصة القصيرة جدا، وسيميولوجيا الترجمة، ومحاضرات في لسانيات النص، وخصائص الكتابة النسائية عند أمنة برواضي، وسوسيولوجيا الثقافة، وميادين علم الاجتماع، وأسس علم الاجتماع، والعوالم الممكنة بين النظرية والتطبيق، والأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، وفقه النوازل، ومفهوم الحقيقة في الفكر الإسلامي، ومحطات العمل الديكتيكي، وتدبير الحياة المدرسية، وبيداغوجيا الأخطاء، ونحو تقويم تربوي جديد، والشذرات بين النظرية والتطبيق، والقصة القصيرة جدا بين التنظير والتطبيق، والرواية التاريخية، تصورات تربوية جديدة، والإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، ومجزئات التكوين، ومن سيميوطيقا الذات إلى سيميوطيقا التوتر، والتربية الفنية، ومدخل إلى الأدب السعودي، والإحصاء التربوي، ونظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، ومقومات القصة القصيرة جدا عند جمال الدين الخضير، وأنواع الممثل في التيارات المسرحية الغربية والعربية، وفي نظرية الرواية: مقاربات جديدة، وأنطولوجيا القصة القصيرة جدا بالمغرب، والقصيدة الكونكريتية، ومن أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جدا، والسيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، والإخراج المسرحي، ومدخل إلى السينوغرافيا المسرحية، والمسرح الأمازيغي، ومسرح الشباب بالمغرب، والمدخل إلى الإخراج المسرحي، ومسرح الطفل بين التأليف والإخراج، ومسرح الأطفال بالمغرب، ونصوص مسرحية، ومدخل إلى السينما المغربية، ومناهج النقد العربي، والجديد في التربية والتعليم، وببليوغرافيا أدب الأطفال بالمغرب، ومدخل إلى الشعر الإسلامي، والمدارس العتيقة بالمغرب، وأدب الأطفال بالمغرب، والقصة القصيرة جدا بالمغرب، والقصة القصيرة جدا عند السعودي علي حسن البطران، وأعلام الثقافة الأمازيغية...

- عنوان الباحث: جميل حمداوي، صندوق البريد 1799، الناظور 62000، المغرب.

- جميل حمداوي، صندوق البريد 10372، البريد المركزي، تطوان 93000، المغرب.

- الهاتف النقال: 0672354338

- الهاتف المنزلي: 0536333488

- الإيميل: Hamdaouidocteur@gmail.com

Jamilhamdaoui@yahoo.

الغلاف الخارجي

إذا كانت إسبانيا معروفة لدى جميع المغاربة أنها لم تخدم المغرب منذ استعمارها للمنطقة الشمالية سنة 1912م حتى انسحابها منه سنة 1956م، مقارنة بفرنسا التي خدمت هذا البلد على مستوى البنية التحتية تخطيطا وتجهيزا وتدييرا وتعميرا وتوسيعا. فإن هذا الحكم، في الواقع التاريخي، ليس صحيحا دائما؛ فلا إسبانيا الأيدي البيضاء على المغرب في بعض المجالات الثقافية، وخاصة في مجالي المسرح والتشكيل. دون أن ننسى الميادين العلمية الأخرى، مثل: اللسانيات، والأدب، والتاريخ، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والتوثيق الببليوغرافي، والأرشيف المكتبية، وبناء المدارس والمعاهد التربوية لنشر اللغة الإسبانية والثقافة الإيبيرية.